أثر الرومانتيكية الغربية فى تشكيل ظاهرة الهروب من المجتمع لدى الشعراء الهروبيين فى مصر (١٩٢٠ م – ١٩٥٠ م)

إعداد الباحثة

هدير كُريم عبده سليمان

إشراف

أ.د. عبد المرضي زكريا (رحمه الله)
أستاذ الأدب والنقد الحديث
كلية التربية – جامعة عين شمس

أ.د. أحمد محمد فؤاد
أستاذ الأدب والنقد الحديث
كلية التربية – جامعة عين شمس

د. حسام محمد عقل
مدرس الأدب والنقد الحديث
كلية التربية – جامعة عين شمس

الحمد لله الحكيم الخبير ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، فضله على سائر مخلوقاته فى كونه وملكوته بنعمة العقل ، الذى يهتدى به إلى صلاح حاله ومآله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ، والسراج المنير ، والرحمة المهداة للعالمين ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

يسعى هذا البحث إلى إلقاء الضوء على تيار فى الشعر العربى الحديث وهو التيار الهروبى ، الذى يتخذ اتجاهاً هارباً من المجتمع الغارق فى القسوة والظلم ، بوصفه مجتمعاً يحاصره الفساد والزيف إلى عوالم أخرى أقرب إلى أن تكون عوالم مثالية أو مدناً فاضلة ، يرى فيها الشاعر ملاذه الآمن ، ووجوده الحقيقى .

ويمثل هذا التيار طائفة من الشعراء الهروبيون الذين اتخذوا موقف الهروب من المجتمع إلى عوالم : الطبيعة الحالمة ، والحب ، والموت ، والطفولة ، وأحلام الماضى وذكرياته ، والمجتمعات البدائية الفطرية ، والتشرد الأبدى ، وعالم السخط واليأس والأحزان ، وما إلى ذلك من الاتجاهات الهروبية فى الرومانتيكية الغربية .

وهم يمثلون أنموذجاً ذا أهمية خاصة ، تجعله صورة صادقة لكثير من مثقفى المجتمع المصرى فى المرحلة التى أعقبت توقف المد الثورى الإيجابى الرائع لثورة ١٩١٩م ، وصاحبت حركات القمع والقهر والاستبداد والانحرافات .

ومبلغ علم الباحثة أن موضوع هذه الدراسة ، لم يطرقه باحث من قبل بأطروحة منفردة ، لذا وقع الاختيار على هذا الموضوع ، وجاء بعنوان :

« أثر الرومانتيكية الغربية فى تشكيل ظاهرة الهروب من المجتمع فى مصر ١٩٢٠م – ١٩٥٠ م » .

وتبعاً لطبيعة الموضوع ، فالباحثة ستتبع المنهج الوصفى التحليلى ، من خلال تتبع الظاهرة واستقرائها من قصائد أصحاب هذا التيار من خلال توضيح أثر الرومانتيكية الغربية فى وجود ظاهرة الهروب من المجتمع فى شعر هؤلاء الشعراء .

واقتضت طبيعة البحث أن يتكون من : مقدمة ، وتمهيد ، وسبعة محاور، وخاتمة ، وقائمة بالمصادر والمراجع .

وترجو الباحثة ، أن يكون فى هذه الدراسة ، ما يقدم إضافة جديدة ، وإثراءً مفيداً فى مجال الدراسات الأدبية ، والشعر العربى الحديث ، والله الموفق .

التمهيد

تهيأ البركان الثورى المكبوت فى مصر منذ الثورة العرابية لانفجار جديد على يد قادة الثورة المصرية سنة ١٩١٩م ، وأحس الشعب المصرى ببعث جديد ، وملأ الإنسان المصرى رئتيه بنسمات حرة طليقة ، ورفرفت فى سمائه الأحلام والآمال ، وبدأ يحس بذاته الضائعة ، وشخصيته المغمورة فى ركام الإهمال والكبت .

استطاع الشعراء المصريون ، فى ظل ثورة ١٩١٩م ، أن يعزفوا أعذب ألحان الانتماء إلى مصر ، وهم يعبرون عن ملحمة الشعب المصرى فى تصديه لأكبر إمبراطورية ,

وأخطر قوة استعمارية فى العالم حينذاك ، ويصورون بطولة قيادة الثورة المغتربة فى المنفى[١] .

وقد كانت هذه الثورة الشعبية أشبه ببوتقة ، ذابت فيها كل الاتجاهات المذهبية ، وانصهرتْ فى نيرانها الوطنية لتصوغ لشعب مصر ، الذى بُعِثَ من جديد لحناً وطنياً انتمائياً ، ينتمى إلى أرض مصر ، ويعتز بأمجادها ، ويتغنى بحضارتها وتاريخها [٢] ، ويسهم فى إنشاده الشعراء ، على الرغم من اختلافهم فى اتجاهاتهم الفكرية والفنية [٣] .

ولكن الحلم الجميل ، لا يدوم طويلاً ، فسنوات الثورة القليلة ، تنتهى بمأساة التمزق الحزبى ، وفجر المقاومة الشعبية الثائرة ، تحاصره ليالى المفاوضات العقيمة ، وسُحُب الأحقاد والخصومات ، والسَب والمهاترات ، وتبادل التُهم والمؤمرات .

وتتمزق راية الانتماء الوطنى ، لترتفع راية التعصب الحزبى ، ويتفسخ الواقع الاجتماعى ، وتطفو فوق سطحه المفاسد والسلبيات [٤] .

وينهار الحلم الجميل أمام أعين الشعراء الثائرين ، ولا يجدون حينئذ مَفَراً من الهروب بعيداً ، والانسحاب من واقع المجتمع المصرى بمهاتراته الحزبية ، ومفاسده الأخلاقية . ففى ظل هذا المناخ السياسى ، المحاصر بتزييف السياسيين ، والانتهازية الحزبية ، والتملق الرخيص للزعماء والحكام ، لم يكن هناك مفر للشعراء الصادقين من الهروب ، وذلك الهروب لون من الهروبية المقنعة ، ونمط من أنماط الانطواء على النفس ، أَمَام عبث المجتمع ، وتسمم الجو السياسى الحزبى بالنفعية والانتهازية .

---

[١] أنظر : ثورة سنة ١٩١٩ ، لعبد الرحمن الرافعى ، ج٢ ، ص ١٥٧ .

[٢] المرجع السابق ، ص ١٦٢.

[٣] المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٦.

[٤] المرجع السابق ، ص ١٦٦.

يقول « عبد الرحمن الرافعى » : « أرى أن الثورة لم يكن لها أثر جوهرى فى أخلاق الأمة » ، ويقول أيضاً :

« على أن الأخلاق عامة قد تراجعت بعد الثورة ، فالصدق والإخلاص ، والوفاء والمروءة، قد نقص مستواها

عما كانت عليه من قبل ، وطغت على النفوس موجة من النفعية يلزمنا أن نتعاون على صدها » [٥] .

لقد اعتصر التمزق الحزبى ما فى الحياة من نبض الصدق ، وأصالة المشاعر ، ونبل الطباع .

كما يمكن أن نقول إن الإحساس بالظلم ، والوقوع تحت نير القهر الاجتماعى ، والحياة فى جو تفتقد فيه العدالة والمساواة يصنع شعوراً عاماً من الألم ، وإحساساً جماعياً بالاضطهاد ، بيد أن الشاعر- وهو فرد فى الجماعة- يكون أكثر الناس شعوراً بهذا الألم، وأكثرهم استعداداً للتعبير عنه .

ولم يخل المجتمع المصرى الحديث – على امتداد القرن العشرين – من وطأة الإحساس بالظلم والشعور بالدونية الناشئة عن التمايز الطبقى الرهيب , أو تفشى ظواهر سلبية كبرى تتجاوز دائرة الغنى والفقر ، منها (تفاوت الفرص) ، و (شيوع الوساطة والمحسوبية) , وظهور طبقة (ذوى النفوذ) المتعالين على القانون .

ولعل الإحساس بالظلم الاجتماعى ، جعل هؤلاء الشعراء يرفضون المجتمع , ويعلنون الانسحاب منه , لأنه مجتمع غير عادل .

[٥] انظر : ثورة سنة ١٩١٩ ، لعبد الرحمن الرافعى ، ج٢ ، ص ١٦٦ .

واشتد زحف الثقافة الغربية فى هذه المرحلة من حياة الشعر المصرى ، وأصبح تيارها صاخباً هادراً ، وبخاصة تيار الأدب الرومانتيكى الذى كان ملائماً لنفسية المصرى الحزينة الممزقة بعد فشل ثورة ١٩١٩ م ، وانهيار الوحدة الوطنية ، وفساد الضمائر .

ولم تتوقف موجة الاتصال بالأدب الغربى عند حدود الشعر الفرنسى ، بل أضاف الشعراء المصريون إلى الإطلاع المنظم على الأدب الفرنسى اطلاعاً منظماً آخر على الأدب الانجليزى ، وكانت وسيلتهم جميعاً إلى ذلك اللغة الإنجليزية التى أتقنوها وأحسنوا فهمها ودرسها [٦] .

وفى ظل هذا التأثر ازدهرت مواهب كثير من الشعراء الهروبيين المتأثرين بالرومانتيكية الغربية كناجى، وعلى محمود طه ، والهمشرى ، ومحمود حسن إسماعيل ، وصالح جودت ، وغيرهم ، وظل هذا الاتجاه الفنى يلون الشعر المصرى وسماته .

فالشاعر المصرى يهرب من وطنه هروباً روحياً ، بعد انهيار أحلامه ، متأثراً بالرومانتيكية الغربية التى تدل على « الإنسان الحالم ذى المزاج الشعرى ، المنطوى على نفسه، ثم امتد معناها إلى ما يشمل شبوب العاطفة والاستسلام للمشاعر ، والاضطراب النفسى ، والفردية والذاتية ، وتمثلت هذه الاتجاهات فى الأدب الرومانتيكى» [٧] .

وسنحاول فى السطور القادمة أن نتناول بشىء من التفصيل أثر الرومانتيكية الغربية فى هروبية الشعراء .

سبق أن أوضحت الباحثة قبل ذلك مدى سخط الشعراء فى تلك المرحلة على المجتمع ، وما يسوده من عادات ذميمة وتمزق حزبى ، وقالت إن ذلك كان من عوامل اتجاههم

[٦] انظر : كتاب الغزل فى الشعر العربى الحديث فى مصر ، للدكتور سعد دعبيس ، ص ٢٥٣ .

[٧] انظر : مقدمة كتاب الرومانتيكية ، دكتور محمد غنيمى هلال ، س و .

الهروبى ، كما كان للرومانتيكية الغربية أيضاً أثرها الكبير، فى ارتباط هذا الاتجاه عندهم، بالهروب إلى عوالم : الحب والموت والعزلة فى أحضان الطبيعة وتنصيبها كملهمة تقودهم لمقاصد الأمور ، والطفولة ، وذكريات الماضى ، والمجتمعات البدائية الفطرية ، وما إلى ذلك من الاتجاهات الهروبية فى الرومانتيكية الغربية [٨].

فالشاعر المصرى ظل معتزلاً عالم السياسة ، هارباً من المواقف السياسية ، معتزلاً لقضايا المجتمع ، منزوياً فى ركن قصى من وطنه الهروبى الفردى ، نافراً من الواقع المحبط المزرى والآمال المكسورة ، من أجل صناعة عوالم أخرى خيالية متخيلة حتى لو كانت تنتمى إلى الخرافات ، وقد تراءت هذه العوالم فيما يلى :

(١) الهروب إلى وطن الطبيعة الرحبة :

إذا أردنا أن نصف علاقة الرومانتيكيين الغربيين بالطبيعة ، يمكننا القول إنهم كانوا ينشدون فيها السلوان ، فيبثونها حزنهم ، ويناظرون بين مشاعرهم ومناظرها ، لأنها لها صلات بخواطرهم ومصائرهم ، ويتخيلون فى المخلوقات أرواحاً تحس معهم ، فتحب وتكره وتحلم ، فيشركونها مشاعرهم ، ولذا تجدهم يخاطبون الأشجار والنجوم والورود والصخور وأمواج البحار، ولا يختلى الرومانتيكيون فى الطبيعة ، ليفكروا ويستخلصوا حجج أو يحلو مشكلات ، وإنما ليحلموا ويستسلموا لمشاعرهم ، واتضح أثر ذلك فى قصائد الشعراء الهروبيين المصريين.

فنجد الشاعر **« أحمد زكى أبو شادى »** يلوذ بأحضان الطبيعة ، ويتخذها وطناً ومهرباً له، فهى موئل كل شريد وحيد ، وهذا سر حبه للطبيعة والإشادة بها فى شعره ، واعترافه لها بالأمومة [٩] ، وفى ذلك يقول :

---

[٨] انظر : كتاب « الرومانتيكية فى الأدب الانجليزى » ، ترجمة عبد الوهاب محمد المسيرى و محمد على زيد ، ص١٣ ، ١٤ ، وانظر أيضاً : كتاب « الشعر العربى المعاصر – قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية » ، للدكتور عز الدين إسماعيل ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

[٩] أنظر : « فى صحبة أبى شادى » دراسة لحسن كامل الصيرفى ، من ديوان أطياف الربيع ، ص ١٢٥ .

أُمِـــي (الطَبِيعَـــة) ! فِـــي نَجْـــوَاكِ ... وَفِي ابْتِعَادِي أُعَانِي دَهْرِيَ الْعَادِي

وَفِي حِمَى إِخْوَتِي مِنْ كُلِ طَائِرَةٍ ... وَكُلِ نَبْتٍ نَبِيلٍ وَحيُكِ الْهَادِي

مَا بَالُهَا هِيَ صَفْوِي وَحْدَهَا فَإِذَا ... رَجَعْتُ لِلنَاسِ لَمْ أَظْفَرْ بِإِسْعَادِ

كَأَنَمَا النَاسُ أَعْدَاءُ : فَبَعْضٌهُمُو ... حَرْبُ لِبَعْضٍ وَحُسَادُ لِحُسَادِ ! (١٠)

فالشاعر يجد فى حنان ووداعة الطبيعة لذته وأنسه .

ويقدم لنا فى بعض قصائده نماذج من تيار الهروب من المجتمع إلى العزلة فى أحضان الطبيعة ، حيث يلوذ – كالرومانتيكين – بالطبيعة الحزينة ، ويتخذها مهرباً وملاذاً لروحه الحزينة الحائرة ، حين يضيق بالظلم فى المجتمع ، حيث يقول فى قصيدة « الكون المتشائم » :

حـان الربيـعُ ولكـن غـاب مَطلعُـه ... فمـا الـرواءُ بنهـر جـفَ مَنبعُـه؟

رُدُوا الكئـوسَ فمـا راحٌ بمسـعفةٍ ... إذا تشـائم هـذا الكـونُ أجمعـه

حُجبـتِ عـن نـاظرى الصـديان ... دنيـا الجمـالِ وعـاف الفـنَ مبدعـه

وشاطرتنى الأسى، حتى النجوم لها ... دمـعُ وشـجوٌ وبـثُ كـدت أسـمعه

تتبعـتْ شـاعراً فـى العمـر بادلهـا ... حبـاً وألهمهـا عمـراً تَتبعـه

فكـاد يصـدم مجراهـا تأوُهـه ... وكـاد يصـدع مبناهـا تَصـدعُه(١١)

ونراه فى قصيدة « الغروب الثائر » يصور مشاعره الحزينة وقت الغروب ، فمنظر الغروب يثيره ويوقظ مشاعر الحزن والكآبة فى نفسه ، فنجده يقول :

(١٠) ديوان أنداء الفجر ، ص ١٥ .

(١١) ديوان الشعلة ، ص ٤٠.

يا ثورة عند الغروبِ لمحتُ فيكِ فؤادى ...

هذى دمائى استنزفتْ وعلى السماءِ حدادى[١٢]

وفى قصيدة « الطبيب » أيضاً نجده يمزج أحزان عزلته فى المجتمع بأحزان الطبيعة ، فيجد فيها متنفساً لأحزانه ولأشجانه ، وصوتاً لآلامه عندما يكون حزين دامع ، فيقول :

وكـــأن بَـــدْر الـــتم آمـــنَ وَحْـــدَهُ ... بأســـايَ أو بهـــوايَ أو بنحيبـــى

فرأيتـــهُ فـــى حـــالِ ممتقـــع لـــه ... مـــن صُـــفرةِ الإشـــفاقِ والتعـــذيبِ

لَوْنى ، وقد شـاهدتُ مصـرعَ نعمتـى ... عُمـــراً مـــن التشـــريدِ والتغريـــبِ

والجـــوُ فـــى قـــيظٍ تـــأجَجَ مثْلمـــا ... تتـــــأجَج الآلامَ مـــــلءَ غريـــــب

وتكـــاد أنفاســـى تُـــرَدُ وإنْ يكُـــنْ ... جســـمى بنـــبضٍ للحيـــاةِ عجيـــب

وأرى الطبيعـــةَ كُلهَـــا فـــى حسْـــرةٍ ... وكأنَمـــا ريعـــتْ لنـــأيِ حبيبـــى

أوَاهٌ مـــن ظمـــأٍ علـــى ظمـــأٍ ، وكـــم ... يلقـــى قريـــب الـــرىِ غيـــرَ قريـــبِ[١٣]

وفى قصيدة « بحر السماء » نجد « أبا شادى » يعبر عما فى النفس من هموم وبؤس وتشاؤم منبثق عن اضطراب نفسى شديد ، فيمزج أحزانه فى المجتمع بأحزان الطبيعة الثائرة ، فيقول :

هَتَفـتْ بـيَ الأضـواءُ فاستيقظتٌ مِـن ... نـــومي علـــى فَلَـــقٍ مـــن الأضـــواءِ

ونَظـرتُ فـي أفُـقِ السـماءِ فلـم أَجـدْ ... إلاَ حـــــديثَ المـــــوج والـــــدَأمَاءِ

السُّحْبٌ تجرِي فى اصـطخَابِ المـوجِ ... تَرضَـــى بهـــدأةِ لحظـــةٍ لنـــدائي

[١٢] ديوان أطياف الربيع ، من قصيدة « الغروب الثائر» ، ص ٤٢ .

[١٣] المرجع السابق ، من قصيدة « الطبيب » ، ص ٤٢.

ناديتُهـــا فتلفَتَـــتْ ، لكنـــه كتلفُـــتِ الأطيـــافِ للشُـــعَرَاءِ

لا تســتقرُّ هُنيهــةً ، وتســير فــي لهَـفٍ ، كوثـبِ المـوج فـوقَ المـاءِ

وكأنمــا الــزمنُ العجيــبُ يســوقها كالخيـلِ فـى ركـضٍ وطُّـولِ عنـاءِ

تخْشَـى سِـياطَ الـدهرِ تجْـرِى خلفَهـا فالــدهرُّ قــاسٍ دائمــاً ومُرَائِــي

وتغيبُّ فـى بحـرِ السماءِ كمـا مَضـى حُلُمِي وأنفَاسي ووحيُ رَجَـائي !(١٤)

فالشاعر « أحمد زكى أبو شادى » يخلق من مأساته وبؤسه ملحمة توحد بين وجدانه كشاعر ، وبين واقع الطبيعة الساحرة ليستلهم منها طاقة الجمال الشاعرية ، فيهبنا ألحاناً من أوتار الشعر الشجية .

ونجد الدكتور **« إبراهيم ناجى »** أمام الإحساس بضياعه فى المجتمع ، يكثر من رمز الزورق الغريق ومناظر العواصف ، والسراب ، وأمواج البحر الثائرة ، ليعبر عن ضياعه فى المجتمع ، وموقفه الهروبى من الحياة ، حيث يقول فى قصيدته « السراب فى الصحراء» :

الســراب الخئــون والصــحراء والحيــارى المشــردون الظمــاء

وليــالٍ فــى إثــرهن ليــالٍ ســنة أقفــرَت وأخــرى خــلاء

قــلَ زادي بهــا وشــح المــاء وتــولى الرفــاق والخُلَصــاء

أدركــي زورقــي فقــد عبــث الــيم بــه والعواصــف الهوجــاءُ

والعبــاب العــريض والأفــق المــو حــش واللانهايــة الخرســاءُ

(١٤) ديوان الينبوع ، ص ٣٥ .

أفــق لا يحــد للعــين قــد ضــاق فأمســى والســجن هــذا الفضــاءُ

سهرت ترقب الصباح وعين النجم كلــت ومــا بهــا إغفــاءُ [١٥]

وهذه المناظر تتجاوب مع مشاعر الشاعر الحزينة ، ونفسيته الثائرة التى لاتهدأ ، الناقمة التى لاترضى فتبدو الطبيعة هنا عاصفة ثائرة كئيبة موحشة .

وفى قصيدة « يا نسيم البحر » نلمح هروب « ناجى » من المجتمع الغريب الغامض الظالم إلى البحر فهو وطنه الروحى الذى يهيم به فينسيه غربته فى دنيا البشر ، فيقول :

يــا نســيم البحــر ريــانَ بطيــب ما الذى تحمل من عطر الحبيبِ؟

صــافحتنى مــن نواحيــك يــدُ تمسح الدمعــةَ عن جفن الغريب

وتلقــاني رشــاشُ كالبكــا وهديرُ مثلُ موصول النحيبِ[١٦]

ونجد الشاعر **« أحمد رامى »** أيضاً يلوذ بالطبيعة ، ونلمس ذلك فى شعره ، فهو يعشق الطبيعة الباكية ، ويهرب فيها من عالم البشر، يهرب من غدر الناس ولؤمهم ، فيقول فى قصيدة بعنوان «عينى فيها الدموع » :

عينــى فيهــا الــدموع والجــو ســاكن وصــافى

والقلــب بــين الضــلوع حيــران علــى خــل وافــى

طــاير يهفهــف جناحــه عــدم فــى عشــه الأمــان

لا حــد واســى جراحــه ولا ســقاه الحنــان

ينــوح علــى الأغصــان وحــده ويشــتكى لليــل وجــده

[١٥] « شعر إبراهيم ناجى – الأعمال الكاملة » ، ص ٩٥.

[١٦] « شعر إبراهيم ناجى – الأعمال الكاملة » ، ص ٣٠٧ .

الفجـــــــــــر يطلـــــــــــع وقلبـــــــــــــه ليـــــــــــل

والبـــــــــــدر يســـــــــــطع وليلـــــــــــــه ويـــــــــــل [١٧]

ويرتبط بتصوير الهروب من الطبيعة بشكل عام هروب الشعراء المصريين إلى ريف مصر باعتباره جزءاً من الطبيعة الخلابة التى يطمحون إلى الهروب إليه وتصوير الطبيعة فى الريف المصرى تصوير رومانتيكى حالم يتوحد فيه الشاعر مع الطبيعة ، ويستشعرها ويحس بها ويألفها ، فهى متعة الإنسان ، وهى روح الجمال ، وهى عبق الحياة ، وهى غاية الحياة يلتقى فيها الطائر المغرد ، والأغصان الوارفة ، والحيوان الأليف ، وهى تمثل الماء فى صفائه وتدفقه ، وهى ملاذاً للشاعر من الواقع المرير الذى اشتدت أزماته على نفس الشاعر ، وهى الحنان الذى افتقده فى المجتمع ، والمثل العليا التى تهفو إليها النفوس الطاهرة .

فنرى الشاعر **« أحمد زكى أبو شادى »** يهرب إلى الطبيعة الريفية فى مصر ، ويتغنى بملاذه فيها ومقامه بها لأن إنسان المدينة ظالم ، ففى قصيدة « فى الطريق الحزين » (نظمها وهو يجتاز قرية المطرية القديمة) يهرب إلى الريف المصرى فراراً من ظلم المجتمع ، حيث يقول فيها :

يا طريقي الحزينَ! عـرِجْ علـى الغَـرْ سِ وسِـرْ بينـــه بروحـــي وحِسِـــي

فى صـميم الحقـولِ سِرْ بـي وخُـذْنـي مِـــن وجـــودٍ وهبتُـــه كـــلَ يأســـي

فـــي جـــوارِ الميـــاهِ تجـــري فتـــروِي قبـــلَ رِيِ الغـــراسِ قلبـــي ونفســـي

فـي جـوارِ النبـاتِ يَخفـقُ مِـن خَفْقـي ويُفْضِـــي بهمســـهِ مثـــلَ هَمْسِـــي

في جوارِ الأنيسِ مِنْ طيرها الأبيض جَـــسَ الثـــرى حريصـــاً كجَسِـــي

[١٧] ديوان رامى ، من قصيدة « عيني فيها الدموع» ، ص ٢٦٤.

فـي جـوارِ الأعشـاب يلمسُـها المـا ... ءُ برفـقٍ والنُـورُ فـي شـبهِ لمـسِ
فـى جـوارِ النُـوَارِ قَبَلَـةُ النَحْـلُ ... بشـــوقِ المدلَـــهِ المُتَحَسِـــي
في جوارِ الأحلامِ في خُضْرَةِ الأَرْ ... ضِ وقـد أينعـتْ بغـرسٍ وَغـرْسِ !

* * * * * *

نجِنـي مِـنْ تَعثـري بـين أشـباحٍ ... ومِـنْ نُقلتـي لـرمْسٍ ورَمْـسِ
نجِنـي ! إنَ فـي الطبيعـة نجـوا ... يَ ففيهـا لُبِـي وشِـعري وطِرْسـي
فـي حِماهـا أنـامُ والعشـبُ وجـدا ... نـي وقلبـي زميـلُ " عبَـادِ شـمسِ "
وأنـاجي حتـى الجنـادبَ فـي زَهْـوٍ ... وفـي نشـوةٍ أوسِـدُ رأسـي
رَقـدتي عنـدها كسـكرةِ فرحـا ... ن بـدنيا تختـال فـى صـفوِ عُـرْسِ
بينمـا العـالمُ المؤصَـلُ فـي الغَـدْ ... رِ قريـرُ بكـلِ جـانٍ وجِـبْسِ ![١٨]

لقد جذبته تلك المناظر الفطرية الطبيعية ، التى تمثل بذور الجمال النفسي متمازجاً مع الطبيعة مع البعد عن تعقيد العقلانية وسطوة الصراع .

فالشعراء المصريون جعلوا الهروب إلى الطبيعة تمرداً شنيعاً على الحياة كما فعل الرومانتيكيون الغربيون .

(٢) الهروب إلى عالم الطفولة ، وأحلام الماضى وذكرياته :

يلوذ الشاعر بعالم الطفولة وذكريات الماضى هروباً من الحاضر المؤلم ، ونلمس من هذا الاتجاه الهروبى ، شدة انفصال الشاعر عن حاضره ، ممثلاً فى ارتداده إلى مرحلة " الفطام " فى أيام الطفولة وفى ذلك أصداء من ظاهرة " النكوص " التى تعتبر فى علم

[١٨] ديوان فوق العباب ، ص ١٠٤ ، ١٠٥.

النفس من مظاهر " السلوك الانسحابى " فالنكوص حل من حلول الصراع النفسى « إذ يلجأ الشخص إلى عادة سلوكية قديمة كان يجد إشباعاً عن طريقها فى الماضى ، ويعتبر النكوص أسلوباً انسحابياً ، إذ أن الشخص يتقهقر إلى مرحلة سابقة من مراحل النمو ، ليواجه صراعه بدلاً من أن يواجه ذلك الصراع بطريقة مباشرة » [١٩] .

وما أكثر ما نجد الحنين إلى الطفولة فى شعر **« إبراهيم ناجى »** ، فحنينه للطفولة يتمثل فى معجمه الذى تكثر فيه كلمة (الطفولة) ، كما فى قوله فى قصيدة « الوداع » :

كـلُ شـيء صـار مـراً فـي فمـي بعـدما أصـبحتُ بالـدنيا عليمـا

آه مـن يأخـذُ عمـري كلَـه ويعيـدُ الطفـلَ والجهـلَ القـديما![٢٠]

ونلمس الهروب إلى الماضى وذكرياته فى شعر الشاعر **« أحمد رامى »** ، الذى يشتد حنينه إلى الماضى ، فهو يتحسر عليه قائلاً :

مضـى كـل هـذا ثـم أَعقبـتُ بعـده حيـاة أَسـى طالـت بهـا الزفـراتُ

أحن إلى الماضى كما يـذكر الحمـى طلـيحٌ نـوى ترمـى بـه الفلـواتُ

وأنـدب أيـامى اللـواتى تصـرمت بشـعرى إذا ضـمتنى الخلـوات[٢١]

كما أنه يحن لأيامه السالفة ، ويجد سعادته فى ماضيه ، وشقاؤه وبؤسه وحزنه فى مستقبله ، حيث يقول فى قصيدة « عهد قديم » :

---

[١٩] انظر : كتاب « الشخصية والعلاج النفسى» ، للدكتور محمد عماد الدين إسماعيل، ص ٢٣٤، ٢٣٥ .

[٢٠] أنظر : « شعر إبراهيم ناجى – الأعمال الكاملة » من قصيدة « الوداع » ، ص ٣٧٧ .

[٢١] ديوان رامى ، من قصيدة « شعر الدموع » ، ص ٤٨.

يـا حنينـى إلـى الليـالى المواضـى وشـقائى مـن الليـالى البـواقى

واشـتياقى إلـى قـديم مـن العهـد نعمنـا فيـه بطيـب التلاقـى

ذهبـت نضـرة الزمـان وحالـت صـفحة مـن غـديره الرقـراق

وتغشـته كـدرةُ مـا عهـدناها ووجـه الزمـان فـى إشـراق[٢٢]

[٢٢] المرجع السابق ، من قصيدة « عهد قديم » ، ص ١٣٢.

(٣) الهروب إلى وطن الحب والمرأة :

جعلوا الحب الذى هيمن عليهم ، وكون وجدانهم ، ملاذاً يلوذون إليه ، فهو يمثل واحة من واحات الوطن الهروبى الذى يلوذون به من ظلم المجتمع ، فهو ينقذهم من ألم الحياة.

ويبدو ذلك فى شعر **« إبراهيم ناجى »** ففى قصيدته « آمال كاذبة » يعبر عن قضية الإنسان المغترب فى وطنه ، وعن تعبه من الحياة التى يراها سراباً ، فيلجأ إلى الهرب منها من خلال الحب الذى يجعله سعيداً ، وفى ذلك يقول :

وأنـا غريـب فـى الزحـام كـأننى ... آمـال أجفـان حـرمن رقـادا

ولقد ترى عينـي الجموع فما ترى ... دنيـا تمـوج ولا تحـس عبـادا

فـإذا رأيتـك كنـت أنـت النـاس ... والأعمـار والآبـاد والآمـادا

وأراك كل الزهر كل الروض أنت ... لـدى كـلُ خميلـةٍ تتهـادى[٢٣]

وفى ذلك المعنى يقول فى قصيدة « بقية القصة » :

أنـتِ التـى علَمتِنـى معنـى الحيـا ... ة حبيبـةً ونجيَـةً وصـديقا

أنكـرتُ معناهـا بغيـرِك واسـتوتْ ... وتشـابهتْ سـعةً علـيَ وضـيقا

وَوَدِدْتُ لـو غـال الخلائـقَ غائـلُ ... مُفْـنٍ أو اشـتعَل الصـباحُ حريقـا

وسـلمتِ أنـتِ فأنـتِ أدنـاهم إلـى ... روحـي وأبعـدهم علـيَ طريقـا ![٢٤]

وفى قصيدة « عذاب » نجده يلوذ بحبيبته ، ويضرع إليها كى تنقذه من المجتمع الوحشى الظالم ، وتخفف من إحساسه الشديد بالظلم ، وتحنو على جراحه ، وفى ذلك يقول :

---

[٢٣] « شعر إبراهيم ناجى – الأعمال الكاملة » ، من قصيدة « آمال كاذبة » ، ص ١٠٣ .

[٢٤] المرجع السابق ، من قصيدة « بقية القصة » ، ص ٢١٧ .

ألمـــي محـــا ذنبـــي إليـــك وكفـــرا هبنـــي أســـأت ألـــم يحـــنْ أن تغفـــرا؟

روحـــي ممزقـــةُ وأنـــت تركتهـــا لمخالـــب الـــدنيا وأنيـــابِ الـــورى

روحـــي ممزقـــةُ ولـــو أدركتهـــا جمعـــت مـــن أشـــلائها مـــا بعثـــرا

أو ليس لـى فـى ظـل حبك موضـع أحبـو إليـه وأرتمـى مستنصـرا؟[٢٥]

ويبدو ذلك الهروب من المجتمع إلى عالم الحب فى شعر **« عبد الرحمن شكرى »** ، فالحب بالنسبة له الدواء الذى ينقذه من حوادث الزمن ومصائبه ، حيث يقول فى قصيدة « حنين واشتياق » :

أتنكـــر مـــا بـــى وأنـــت الحبيـــبُ وتجهـــل دائـــى وأنـــت الطبيـــبُ ؟

حننـــتُ إليـــك فلـــولا الضـــلوعُ لطـــار إليـــك الفـــؤاد الطـــروبُ

دهتنـــى حـــوادثُ هـــذا الزمـــانِ فمـــا بـــال قلبِـــك لا يســـتريبُ ؟[٢٦]

ويمضى الشاعر **« أحمد زكى أبو شادى »** لحظة فى هيكل الحب ليستريح من عناء ما يلاقي من الناس ، فيقول فى قصيدة « الفنان » :

أمانـــــاً أيهـــــا الحـــــب ســـــلاماً أيهـــــا الآســـــى

أتيـــــتُ إليـــــك مشـــــتفياً فـــــراراً مـــــن أذى النـــــاس !

حنانـــــكَ أيهـــــا الـــــداعى فأنـــــت مليـــــكُ أنفاســـــى

فـــــررتُ وحـــــولى الـــــدنيا تحـــــارب كـــــل إحساســـــى[٢٧]

---

[٢٥] المرجع السابق ، من قصيدة « عذاب » ، ص ٩١ .

[٢٦] ديوان عبد الرحمن شكرى ، من قصيدة « حنين واشتياق » ، ص ٦٠ .

[٢٧] ديوان أطياف الربيع ، من قصيدة « الفنان » ، ص ٢٩ .

فأبو شادى يصور الحب منبع سلام ووئام ، وراحة نفس ولذة حياة ، يستريح إليه هاجراً حقد البشر وما تنطوى عليه نفوسهم ، فهو يطمئن إلى الحب أكثر مما يطمئن إلى الناس ، الذين دائماً فى حرب معه .

فذلك الحب الذى يسرى فى أشعارهم الهاربة المغتربة متأثر باتجاههم الهروبى .

(٤) الهروب إلى المجتمعات البدائية الفطرية :

هؤلاء الشعراء الهروبيون ، يهزهم الحنين إلى الأزمنة السحيقة والأماكن القصية ، فهم يهربون بأرواحهم وأخيلتهم من الزمن الحاضر إلى عالم الإنسان الأول ، حيث السذاجة والبساطة والفطرة والعفوية ، وينشدون الفضاءات الواسعة والشاسعة واللامتناهية فى الجبال أو سفوح الغابات ، والحركة التى لا تنضوى تحت قانون دقيق وواضح ومسطر.

فالشاعر **« خليل شيبوب »** يعلن عن أمنيته فى الهروب من مجتمعه المعقد الظالم ليعيش فوق الجبال وفى ذلك يقول فى قصيدة « الهارب » :

لـو كـان لـى صـحَةُ أعـيش بهـا ... لـم أشْـكُ يومـاً كـوارثَ الكُـرَبِ

بـل كنـتُ أغدو حيث الجدود غَدَتْ ... موفـورةً فـى الحيـاةِ للنُهُـبِ

معتـزلاً فـى الجبـالِ معتصـماً ... بغارِهـا مُشْـرِفاً علـى الكُثُـبِ

مُرْتَميـاً فـى مفـاوز جَهِلَـتْ ... غيـرَ الرزايـا والويْـلِ والحَـربِ

أهـرب ممـن تَقْلِـى ودادى ومـا ... لـداءِ قلبـى أشـفَى مـن الهـربِ[٢٨]

ويكرر ذلك المعنى فى قصيدة بعنوان « جواب » وفيها يقول :

أَرَى الجبـل العـالى فأشـتاق أننـى ... علـى رأسـه ثـاوٍ هنـاك مقـيمُ

[٢٨] ديوان الفجر الأول ، من قصيدة « الهارب » ، ص ٩٠ .

هنالــك مــا شــاء الفــؤادُ : ســكينةٌ وأنْـــسُ ونُـــورُ طـــاهرُ ونَسِـــيمُ

هنـــاك جماعـــاتُ الطيـــور أَوَانِـــسُ إلـــىَ ووجْـــهُ النيـــراتِ وسِـــيمُ[٢٩]

فالرومانتيكى غريب فى عصره بشعوره وإحساسه ، ومن هنا فهو مغترب زمانياً ومكانياً.

(٥) الهروب إلى عالم الأحزان :

هؤلاء الشعراء قد تأثروا بالرومانتيكية الغربية فى تلذذهم بالألم ، وانغلاقهم فى عالم الأحزان الذى هو فى ذاته مؤنس لهم ، ولعل ذلك ما دفع أحد النقاد المعاصرين الدكتور « سعد دعبيس » إلى أن يقول :.

« يحار المرء فى ذلك الاستسلام العجيب للأسى المبرح الماثل فى الأدب الرومانتيكى، إنهم يحسون بنوع من اللذة المروعة أشبه بتلك اللذة الدامية التى يمجدها المجروح إذا أثار جرحه المندمل ، ها هو ذا بطل رومانتيكى يصوره " شاتو بريان " يفتخر بآلامه ، ويرى أن سعادته فى شقائه ، يقول ذلك البطل : كنت أجد نوعاً من اللذة الغامضة فى حزنى المروع المبرح ، ويتراءى لى فى حزنى حركة غامضة مبهمة توحى بالسعادة ذلك لأن الألم ليس إلا لذة » [٣٠] .

ففى قصيدة « نعمة الألم » نرى **« أحمد رامى »** يلتذ بالألم ويمجده ، ويعانق الأحزان وينادمها :

حســبوا شــقاءَ الــنفس فــى الآلام ودمارَهــا فــى خدعــة الأَوهــام

وإذا خلــوْتُ إلــى الأَســى نادمتــه بشــكايتى وحســرت عــن أَســقامى

[٢٩] المرجع السابق ، من قصيدة « جواب » ، ص ١٠٤ .

[٣٠] أنظر : الغزل فى الشعر العربى الحديث فى مصر ، للدكتور سعد دعبيس ، ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ ٥ .

فوجدت فى الشكوى لنفسى راحةً من حزنها وأزلْتُ طول سآمِى[٣١]

ويفلسف حبه للألم والحزن ، فيرى الحزن مؤدباً ومهذباً له ، فيقول فى نفس القصيدة :

هاتِ املئى كأس الشقاءِ فإننى أَستمرئُ الأَحزان يا أيامى

الحزن أدبنى وهذب خاطرى وأَنالنى أفق الخيال السامى

وأَخذت أُذنى بالنواح فأصبحتْ تستعذب الأَنات فى الأَنغام[٣٢]

(٦) الهروب إلى التشرد الأبدى :

ونلمس ذلك التشرد عند الشاعر البائس **« عبد الحميد الديب »** ، فقد كان محاصراً بمجتمع ظالم ، يحاصره دائماً بالإضطهاد والإشاعات ، ولم يكن غريباً بعد ذلك أن يهرب من المجتمع ، ويدمن شرب الخمر ، ويقضى لياليه فى الحانات والأحياء المشبوهة مشرداً مع المنبوذين فى المجتمع ، فيقول فى قصيدة « كيف أعيش »:

نهارى إما نومه بين مسجد غراراً ، وإما فى الطريق تسكع

وأطوى عصى الليل فى القر ساعياً وأيان للأفاق فى الكون مهجع

إذا أذنوا للفجر طرت مسرعاً إلى مسجد فيه أصلى وأركع

أصلى بوجدان المرائى وقلبه وبئست صلاة يحتويها التصنع

أمر على المقهى فأسمع شامتاً يمزق فى عرضى ، وأخر يشفع

وقد ساء ظنى بالعياد جميعهم فأجمعت أمرى فى العداء وأجمعوا[٣٣]

---

[٣١] ديوان أحمد رامى ، من قصيدة « نعمة الألم » ، ص ٤٠ .

[٣٢] ديوان أحمد رامى ، من قصيدة « نعمة الألم » ، ص ٤١ .

[٣٣] عبد الحميد الديب – حياته وفنه – ص ٢٨٢.

وإن يكن من الحق أن نسجل هنا ملاحظة وهى أن الديب لم يكن من أصحاب المزاج ، الذين يرون فى الخمرة مداماً أو سلوة ، بل هى بالنسبة إليه دواء يتجرعه من أصيب فى حياته بالشقاء السرمدى ليترك هذا الوجود ولو هنيهات من غيبوبة أو فقدان وعى كما يحدث لمن يفرطون فى الشراب .

وكما جنح الديب إلى الخمر ، لينسى ما كان يجد من ظلم واضطهاد ، هرع إلى السموم البيضاء يلتمس لديها ما قد عز عليه فى اليقظة ، وفى ذلك يقول الدكتور عبد الرحمن عثمان :

« إن محنة الشاعر قد بدأت يوم أن آمن بالشهوات ولم يتناولها فى قصد واعتدال ، جعل منها متنفساً لما لقى من كبت ، وتعويضاً عما صادف فى ماضيه من حرمان ، ومن ثم اعتنقها كغايةٍ كبرى ، فجند لها روحه وجسده جميعاً »[٣٤] .

فيرى **« عبد الحميد الديب »** أن أسعد الناس ، هم الهاربون من الحياة إلى الخمر والمخدرات ، وهاهو ذا يعترف بفراره من معترك الحياة الجادة لينشدنا من حانة " الحاخام " فى حارة اليهود:

هـــات المـــدام .. فـــدين الله تيســـير فأســعد النــاس مخمــور ومخــدور ..!
هـات المـدام.. ولا تعـرض لمتربتـى مهما غلا العيش لم تغل القـوارير..!
فـــديتها حانـــة الحاخـــام هادئـــة سكرى يعربد فيها الحسن والنور[٣٥]

وقصيدة " بين السكر والصحو " التى يقول فيها :

---

[٣٤] انظر : مقدمة أحمد حسن الزيات لكتاب "الشاعر عبد الحميد الديب – حياته وفنه " ص ٢٤ .
وانظر : فى تعاطيه (الكوكايين) مقالاً لعبد الفتاح غبن – بعنوان " عبد الحميد الديب : هل هو شاعر بائس ؟ أم شاعر ثائر" – بجريدة الجمهورية المصرية – عدد رقم ٦٩٦٣ – بتاريخ ١٨-١-١٩٧٣ .

[٣٥] المرجع السابق ، ص ٤٦ .

يقولـون : سـكير ، فهـل شـربوا كأسـى وهل شربوا البلوى ، كما شربت نفسى؟[٣٦]

وقوله :

دعـونى وكأسـى ..إن خمـرى قيامـة مـن المـوت فـى بأسـاء عيشـى أو

فقد كان إحساسه بالعزلة الروحية فى المجتمع إحساساً رهيباً وشديداً ، مما أدى إلى صعلكته وإدمانه المخدرات.

(٧) الهروب إلى الموت :

أمام الشعور بالقلق والضيق ، وعدم التلاؤم والانسجام مع الأوضاع الجديدة ، والعجز عن مواكبة الأحداث والتغيرات والإحساس بأن الحياة صارت فاقدة للمثالية والسمو والقيم ، وجد هؤلاء الشعراء أنفسهم على هامش هذا المجتمع الجديد ، وقد داهمهم التغير الكبير والعميق ، وأحدث فى نفوسهم شرخاً عميقاً ، ونوعاً من الشعور الذى يختلط فيه القلق والاضطراب بنوع من الخيبة واليأس والشك والريبة بالمستقبل ، وأطبق التشاؤم عليهم ، وأصبحت صورة الموت ومشاعره تسيطر على عقولهم ، خاصة أنهم يعتقدون أنهم فى زمن غير زمانهم ، وفى مكان غير مكانهم ، وهو ما جعل فكرة الموت تلون مشاهد الحياة التى أصبحت بمثابة الحمل الثقيل أو الجحيم ، مما جعلهم يعبرون عن قرفهم وتقززهم إزاء الحياة .

وبعض الشعراء رأى الموت فى صورة الخلاص أو المخلص من الحياة ، فقد افتتنوا به وحنوا إليه ، وأضفى هؤلاء الشعراء ما لا يحصى من المعانى الفاتنة والساحرة على الموت.

---

[٣٦] المرجع السابق – ص ٢٨٣.

[٣٧] الشاعر البائس عبد الحميد – ص ٨٣.

فى النص الآتى ، نرى **« إبراهيم ناجى »** يطلب الموت ويتمناه ، إذ لا رغبة له فى الحياة ولا طموح ولم يبق له فيها إلا اليأس الذى يهرب منه إلى كأسه ، فيقول فى قصيدة « يأس على كأس » :

أصبحتُ من يأسىَ لو أن الردى يهتف بي ، صحت به هيا
هيا فما فى الأرض لي مطمح ولا أرى لي بعدها شيا
ماذا بقائي ها هنا بعدما نفضْتُ منه اليوم كفَيَا
أهرب من يأسي لكأسي التى أدفن فيها أملي الحيَا(٣٨)

ويتضح غرام **« صالح الشرنوبى »** الشديد بفكرة الموت فى قصائد كثيرة ، كقصيدة « صلاة » التى نلمس فيها رغبته فى الهروب من الحياة ، وترحيبه بالموت الذى يشفى قلبه من سقم الحياة ، وفى ذلك يقول مناجياً الله :

يارب هذى الدار مل نزيلها فسلامها ألا يدوم سلامها
يارب نفسى قد أَطَلْت سقامها ودواؤها فى أن يحين حمامها
أنا لا أَذم من الرواية بدءَها لكن أقول متى يكون ختامها (٣٩)

ويكتب قصيدة رائعة من روائعه بعنوان « خمس وعشرون عاماً » ، يصور فيها حاله وما آل إليه من اليأس

والبؤس والهم والأسى ، ويشكو فيها قسوة الأيام والناس عليه ، ويعشق الموت ويناجيه ، وفى ذلك يقول :

ســـــئمت ذاتـــــى وظلـــــى وصـــــــبوتى والغرامـــــا
وصـــــار أقصـــــى أمـــــانى أن أذوق الحمامـــــــــــا

(٣٨) شعر إبراهيم ناجى – الأعمال الكاملة ، ص ٥٥ .
(٣٩) ديوان صالح الشرنوبى ، ص ٣٧٥ .

* * * *

فلســـــت أطلـــــب شـــــيئاً مهمـــــا دنـــــا .... أو تســـــامى
حســـــبى وفـــــوق مُـــــرادى أَلاَ أَطيـــــــــل المُقَامـــــــــا
وأَن أَرى لحيـــــــــــــاتى نِهايـــــــــةً .... وختامـــــــــا

* * * *

ولـــــى مـــــن الأرض قبـــــرُ ســـــــــيحتوينى رمامـــــــــا
لابـــــد منـــــه .... وإن طـــــا ل بـــــى المقـــــام ودامـــــا
يـــارب .... فـــاقض علـــى شِـــقو تِـــــى وهبنـــــى الســـــلاما
وفـــــى يـــــديك زمـــــامى فـــــلا تمـــــد الزمامـــــا .. !! [٤٠]

وحسبك أن تقرأ واحدة من قصائد الشاعر **« عبد الحميد الديب »** الموجعة ، البديعة التصوير ، حيث صور «الديب » فيها حياته البائسة الكئيبة ، وفشله فى إدراك آماله ، وضياع إنسانيته فى المجتمع ، ثم يعلن رغبته فى الموت الذى يخلصه من هذا العالم ، فيقول :

شكوتُ إلى أَنْ قِيلَ قد ذَلَ واجتَدى وأصبحتُ لا صوتاً أَرجَى ولا صَدَى
شكوتٌ ، وما شكواى ضعف وذلة فلستُ بِمُسْتَجْدٍ ولا طالباً يَدَا
ولكننى أَفْحِمْتُ ظلماً بمنطق من الدهر لم تبلغ غَبَاوَتُه مَدَى
أَجَدِدُ للدنيا نشاطى وهمتى فَتَنْفَحُنِى الدنيا شقاءً مجددا
تُسَوِلُ لى نفسى المنون لأننى أرى خير ما يُنْجِى من العالَمَ

(٤١) ...

(٤٠) ديوان صالح الشرنوبى ، ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ .

ويناجى ربه بأبياتٍ تنبض مرارةً وثورةً ، متوسلاً إليه أن ينهى هذه الرحلة الشاقة الحزينة ، ويخلصه من زمنه الذى لم يعرف فيه عدلاً ولا انصافاً ، ليستريح من عالم البشر ، ودنيا الناس ، وفى ذلك يقول:

لقد عشت يارب حتى رأيتُ ... من الناس أقسى من الْجَلْمَدِ

فخذنى إليك وأنت الكريم ... وقد ضقت بالزمن الأَنْكَدِ[٤٢]

وها هو ذا الشاعر **« على محمود طه »** يصرخ أمامنا باكياً فى قصيدة بعنوان « مَأْسَاةُ رَجُلٍ » ، حين ترى نفسهُ رحب الدنيا ضيقاً فتأباه ، وتطلب حرية أوسع تجد فيها اطمئنان روحى ، يلوذ بها من مصائب الدنيا ، وأحقاد البشر ، فيصرخ ثائراً على العالم ، طامعاً فى جوار الله حين تتحطم المرافىء كلها أمام شراع الملاح الحائر فى لياليه التائهة ، حيث يقول :

فى عالمٍ يُنْسِى الحليمَ وقارَهُ ... ويُرِى البنينَ عداوةَ الآباءِ

وتَرى التوائمَ فيه بين عَشِيَةٍ ... متنافراتِ طبيعةٍ ورواءِ

جهدُ الكرامِ به افترارٌ مباسمٍ ... وتَكَلُّفُ فى القولِ والإصغاءِ

صُوَرُ عرفتَ لُبَابها ولحاءَها ... فكأنَما خُلِقَت بغير لحاءِ

فاصعدْ لربِكَ فهو أعدلُ حاكمٍ ... وهو الكفيل برحمةٍ وجزاءِ[٤٣]

وهناك قصيدة بعنوان « أَنْتِ دَيْرُ الْهَوَى ، وشِعْرِى صَلاةٌ » للشاعر **« محمود حسن إسماعيل »** يصور فيها بشاعة الوجود، الذى يحاصره بالأحزان المتدفقة ، ويلون أعماق نفسه يأساً وكآبة ، ودمعا وبكاء ، ويعلن موته فى هذا الوجود ، ويحدثنا عن الموت الذى

---

[٤١] الشاعر البائس عبد الحميد الديب ، عبد الرحمن عثمان ، ص ٦٦ .

[٤٢] الشاعر البائس عبد الحميد الديب ، عبد الرحمن عثمان ، ص ١٢٣ .

[٤٣] ديوان ليالى الملاح التائه ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

تغافل عنه ، وتركه غارقاً فى ألمه ، ولو نظر الموت إلى ما آل إليه شاعرنا فى هذا الوجود ، ولو أدرك حجم شقائه ، لعجل فى أخذ روحه والطيران بها بعيداً عن هذا العالم الذى صدِئَ قلب الشاعر من نار الألم ، فيقول :

زَوْرقـى فـى الوجـود حَيْـرانُ شـاكٍ مثْقَـلُ بالأســى ، شــريدُ ، مُضــلَلْ

وغمــامُ الحيــاةِ أَعْشَــى سَــوادَىَ ونــورُ المُنــى بقلبــى ، ترحَــلْ

أنــا مَيْــتٌ تغافَــلَ الْقبــرُ عنِــي وهْـوَ لَـوْ درى شِـقْوتى مـا تَمَهـلْ[٤٤]

ولعلنا بهذه الإشارات السابقة قد استعرضنا موقف الشعراء من المجتمع ، فرأينا الشاعر المصرى هارباً من المجتمع والحياة ، منسحباً بعد انهيار جسور اللقاء الروحى بينه وبين البشر ، ولم يعد يرى فيهم إلا وحوشاً تمتلىء نفوسهم بالأحقاد ، والغدر والنفاق متأثراً فى ذلك بأحزان الرومانتيكية الغربية وهروبيتها .

[٤٤] ديوان هكذا أغنى ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

الخاتمة

حاولت الباحثة فى هذا البحث استكشاف نظرة الشاعر الهروبى إلى المجتمع من خلال نصه الشعرى ، وإلقاء الضوء على تيار مهم من تيارات الشعر العربى الحديث ، وبيان العوامل المؤثرة فى هروبية الشعراء فى العصر الحديث ، والوقوف على نماذج شعرية للشعراء الهروبيين وتحليلها ، وإبراز المؤثرات الخارجية العالمية التى أثرت فى فكر الشاعر المعاصر ووجدانه ، وأثرت فى تشكل الظاهرة الهروبية لديه .

ولعل ما توصلت إليه الباحثة من نتائج فى هذه الدراسة يتمثل فى النقاط الآتية :

١- حين يتأمل الدارس شعر الهروبيين ، سيجد أن من أهم العوامل التى أثرت فى اتجاههم الهروبى : التمزق الحزبى الذى أصاب الوحدة الوطنية بعد فشل ثورة ١٩١٩ م ، مما مهد الطريق لأحزان الرومانتكية الغربية ، ومواقفها الهروبية اليائسة .

٢- الدارس للشعر المصرى فى هذه المرحلة تروعه كثرة قصائد الرفض الاغترابية كثرة لم تحدث فى أى مرحلة من مراحل تاريخه ، ويلاحظ أن ظاهرة التشاؤم ، والهروب من الواقع المزرى ، والفرار إلى العزلة والانطوائية ، والانطلاق إلى عالم الرؤى والخيال والأحلام سمة عامة وقاسم مشترك عند كثير من الشعراء فى تلك الفترة.

٣- قصائدهم الهروبية مرآة صادقة لاغتراب الذات الخائفة القلقة ، الضائعة فى زحام المجتمع ، ومتنفساً لخواطرهم وأفكارهم .

٤- الشعر الهروبى ينطوى على مناطق تميز فنى لافت ، وتصور فكرى فريد بارز ، يضيف للإبداعية العربية ، والشعرية العربية ، والفكر العربى معاً .

وتأسيساً على هذا يمكن القول: لقد استطاع الشعراء الهروبيون أن يفضوا بمشاعرهم الاغترابية الحارة، ويكشفوا عن نوازعهم النفسية، وأحاسيسهم الاغترابية بأسي جارح، وأنين حزين، مسجلين أعلي درجات الإثارة والتأثير؛ لأن مثل هذا الشكل الاغترابي يروي حكايا النفس، وما يخفيه الشعور من أحاسيس اغترابية؛ مردها انكسار الذات أمام صخرة الواقع ومآسيه، ويمكن أن نعد هذا الاغتراب صورة من صور الذات فيما تنطوي عليه في واقعها الشعوري من أزمات، مما يجعل الاغتراب صادقاً في وقعه، ونبضه؛ لأنه نتاج حراك داخلي فرداني مرتبط بالذات، ونوازعها الداخلية .

المصادر والمراجع

أولاً المصادر :

١- إبراهيم ناجى – ١٩٦١ م – ديوان ناجى - الإدارة العامة للثقافة بمصر - وزارة الثقافة والإرشاد .

٢- أحمد رامى – ٢٠٠٠ م – ديوان رامى – القاهرة – دار الشروق .

٣- أحمد زكى أبو شادى – ١٩٣٣ م – ديوان أطياف الربيع – القاهرة .

٤- أحمد زكى أبو شادى – ٢٠١٢ م – ديوان الشعلة – القاهرة – مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة .

٥- أحمد زكى أبو شادى – ٢٠١٢ م – ديوان الينبوع – مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة .

٦- أحمد زكى أبو شادى – ٢٠١٢ م – ديوان أنداء الفجر – القاهرة – مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة.

٧- أحمد زكى أبو شادى – ٢٠١٢ م – ديوان فوق العباب – مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة.

٨- خليل شيبوب – ١٩٢١ م – ديوان الفجر الأول – الإسكندرية – مطبعة جريدة البصير .

٩- صالح الشرنوبى – ١٩٦٩ م – ديوان صالح الشرنوبى – القاهرة – دار الكاتب العربى .

١٠- عبد الرحمن شكرى – ١٩٦٩ م – ديوان عبد الرحمن شكرى (ثمانية أجزاء) – الإسكندرية – دار المعارف – طبعة عبد العزيز مخيون .

١١- على محمود طه – ١٩٤١ م – ديوان الملاح التائه (الطبعة الثانية) – القاهرة – شركة فن الطباعة .

١٢- محمود حسن إسماعيل – ٢٠٠٤ م – الأعمال الكاملة للشاعر محمود حسن إسماعيل (المجلد الأول)- القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ثانياً المراجع :

(أ) الكتب :

أولاً : العربية :

١- د / سعد دعبيس – ١٩٩٢ م - الغزل فى الشعر العربى الحديث فى مصر – الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية .

٢- عبد الرحمن الرافعى – ١٩٦٨ م – ثورة ١٩١٩م (جزءان) – القاهرة .

٣- د / عبد الرحمن عثمان – ١٩٦٨ م – الشاعر عبد الحميد الديب – حياته وفنه – القاهرة – دار المعارف .

٤- د / عبد الرحمن عثمان – بدون تاريخ – الشاعر البائس عبد الحميد الديب – القاهرة – مكتبة دار العروبة .

٥- د / عز الدين إسماعيل – الشعر العربى المعاصر – قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية – دار الكاتب العربى - القاهرة – ١٩٦٧ م .

٦- د / محمد عماد الدين إسماعيل – ١٩٥٩ م – الشخصية والعلاج النفسى – القاهرة – مكتبة النهضة المصرية.

٧- د / محمد غنيمى هلال – بدون تاريخ – الرومانتيكية – القاهرة – مكتبة نهضة مصر .

ثانياً : المترجمة :

الرومانتيكية فى الأدب الإنجليزى – ترجمة عبد الوهاب محمد المسيرى ومحمد على زيد (الألف كتاب ٥١٥) – مؤسسة سجل العرب – القاهرة – ١٩٦٤ م .

(ب) الدوريات :

جريدة الجمهورية المصرية – عدد يناير ١٩٧٣ م – موضوعه : مقال بعنوان (عبد الحميد الديب : هل هو شاعر بائس ؟ أم شاعر ثائر) – لعبد الفتاح غبن – رقم ٦٩٦٣ .